

(الكبر) ؛ فَإِنَّ الْكِبَرَ وَالْحِرْصَ وَالْحَسَدَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ، فَتَطَاوُلَكَ عَلَى مُعَلِّمِكَ كِبَرِيَاءً، وَاسْتِنكَافُكَ عَمَّنْ يُفِيدُكَ مِمَّنْ هُوَ دُونَكَ كِبَرِيَاءً، وَتَقْصِيرُكَ عَنِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ حَمَاءَةً كِبَرٍ، وَعُتْوَانُ حِرْمَانٍ.

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي... كَالسَّيْلِ حَزْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

من أعجب بعلمه تكبر على من هو دونه في العلم وعلى العامة وينتهر من يعلمه وإن وعظ عنف وإن وعظ أنف وإن أمر بالحق لم يقبله وإن ناظر ازدراً بمنظريه وينقبض عن الناس ليبعدوا بالسلام ويسخرهم في أغراضه ويغضب على من لم يقم بحوائجه

فمن المتكبرين من يجمع بين هذه الخلال القبيحة لفرط غفلته عن الله عز وجل

ومنهم من يعامل الناس ببغض ذلك

والعلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتغيره الأشجار إلى طباعها فيزداد المر مزاراة والحلو حلاوة وكذلك العلم إذا حصله المتكبرون ازدادوا كبرا إلى كبرهم وإذا ناله المتواضعون ازدادوا تواضعا إلى تواضعهم الكبر يمنعه الانقياد أي: الانقياد للحق وللكتاب والسنة، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال لرجل يأكل بشماله: (كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر، قال: فما استطاع أن يرفعها بعد ذلك)

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٣)

احذر داء الجبابة وهو الكبر وقد فسره النبي ﷺ بأجمع التفسير وأبينه وأوضحه فقال: ((الكبر بطل الحق وغمط الناس)).

وبطل الحق: هو رد الحق، وغمط الناس: يعني احتقارهم وازدراؤهم.

وقوله: (إن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عُصِيَ اللَّهُ بِهِ) يريد فيما نعلم لأننا نعلم أن أول من عصي الله عز وجل هو الشيطان حين أمره الله تعالى أن يسجد لآدم لكن منعه الكبرياء، {أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} وقال: {أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} ، وقال: {هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} وقال لما أمره ربه أن يسجد- قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} ، فقوله: (إنه أول ذنب عُصِيَ اللَّهُ بِهِ) يعني باعتبار ما نعلم، وإلا فإن الله تعالى قال للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} ، قال أهل العلم: إنما قال الملائكة ذلك لأنه كان على الأرض أمة من قبل آدم وبنيه، كانوا يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

ثم ذكر أمثلة، قال: (تطاوُلَكَ على معلمك كبرياء) التطاول يكون باللسان ويكون أيضاً بالانفعال، قد يمشي مع معلمه وهو يتبختر، ويقول فعلت وفعلت، وكذلك أيضاً استنكافك عمن يفيدك من علومه كبرياء، وهذا أيضاً يقع لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم يستنكف ولا يقبل.

(تقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر، وعنوان حرمان) نسأل الله العافية، يعني هذا نوع من الكبر، ألا تعمل بالعلم.

وقوله: (العلم حرب للفتى المتعالي) يعني أن الفتى المتعالي لا يمكن أن يدرك العلم، لأن العلم حرب له، (كالسيل حرب للمكان العالي)، صحيح؟ نعم، المكان العالي ينفذ عنه السيل يميناً وشمالاً ولا يستقر عليه.

فَالزَّم - رَحِمَكَ اللَّهُ - اللُّصُوقَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْإِزْرَاءَ عَلَى نَفْسِكَ، وَهَضْمَهَا، وَمُرَاعَمَتَهَا عِنْدَ الاسْتِشْرَافِ لِكَثْرِيَاءِ أَوْ غَطَرَسَةٍ، أَوْ حُبِّ ظُهُورٍ، أَوْ عُجْبٍ.. وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ آفَاتِ الْعِلْمِ الْقَاتِلَةِ لَهُ، الْمُدْهِيَةِ لِهَيْئَتِهِ، الْمُطْفِئَةِ لِنُورِهِ، وَكُلَّمَا ارْتَدَدَتْ عِلْمًا أَوْ رَفَعَةً فِي وَلَانَةٍ، فَالزَّمْ ذَلِكَ؛ تَحَرُّزُ سَعَادَةٍ عَظْمَى، وَمَقَامًا يُغِيظُكَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ الزَّائِيَةِ فِي الْكُتُبِ السَّنَةِ بَكَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ: سَمِعْتُ إِبْنَسَانًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَرَقَّ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي فِيهِمْ لَقُلْتُ قَدْ غُفِرَ لَهُمْ. خَرَجَهُ الدَّهْيِيُّ، ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُرَى عَلَى نَفْسِهِ وَيَهْضُمَهَا

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٤)

وهذه العبارات التي تطلق عن السلف من مثل هذا، يريدون به التواضع، وليسوا يريدون أنهم يُغلبون جانب سوء الظن بالله عز وجل أبداً، لكنهم إذا رأوا ما هم عليه خافوا وحذروا وجزت منهم هذه الكلمات، وإلا فإن الأولى بالإنسان أن يحسن الظن بالله ولا سيما في هذا المقام، في مقام عرفة الذي هو مقام دعا وتضرع إلى الله عز وجل، ويقول مثلاً: إن الله لم ييسر لي الوصول إلى هذا المكان إلا من أجل أن يغفر لي لأني أسأله المغفرة، والله تعالى يقول: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، لكن تظهر مثل هذه العبارات من السلف من باب التواضع وسوء الظن بالنفس لا بالله عز وجل.

القناعة والزهادة:

التَّحَلَّى بِالقَنَاعَةِ وَالزَّهَادَةِ، وَحَقِيقَةُ الزُّهْدِ الرَّهْدُ بِالْحَرَامِ، وَالِابْتِعَادُ عَنْ حِمَاهُ؛ بِالْكَفِّ عَنِ الْمُشْتَبِهَاتِ وَعَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٥)

التحلي بالقناعة من أهم خصال طالب العلم، يعني أن يقتنع بما آتاه الله عز وجل ولا يطلب أن يكون في مصاف الأغنياء والمترفين لأن بعض طلبة العلم وغيرهم تجده يريد أن يكون في مصاف الأغنياء والمترفين فيتكلف النفقات في المأكَل والمشرب والملبس والمفرش ثم يثقل كاهله بالديون وهذا خطأ بل عليك بالقناعة فإنها خير زاد للمسلم.

وأما الزهادة فيقول حقيقة الزهد: الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه بالكف عن المشتبهات، وكأنه أراد بالزهد هنا الورع لأن هناك ورعاً وزهداً، والزهد أعلى مقاماً من الورع لأن الورع ترك ما يضر في الآخرة والزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، وبينهما فرق الفرق الذي بينهما المرتبة التي ليس فيها ضرر وليس فيها نفع فالورع لا يتحاشاها والزاهد يتحاشاها ويتركها لأنه لا يريد إلا ما ينفعه في الآخرة.

وَيُنَوِّثُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لَوْ أَوْصَى إِنْسَانٌ لِأَعْقَلِ النَّاسِ؛ صُرِفَ إِلَى الزُّهَادِ الزَّهَادِ هَمُّ أَقْعَلِ النَّاسِ حَيْثُ تَجَنَّبُوا مَا لَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا قِيلَ لَهُ أَلَا تَصْنِفُ كِتَابًا فِي الزَّهْدِ؟ قَالَ: "قَدْ صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبُيُوعِ" يَعْنِي الزَّاهِدُ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَالمَكْرُوهَاتِ، فِي التَّجَارَاتِ وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْحِرَفِ

لأن من عرف البيوع وأحكامها وتحرز من الحرام واستحل الحلال فإن هذا هو الزاهد.

كيف تصبح عالماً (٨ / ٤)، د راغب السرجاني بتزقيم الشاملة آليا

الصفة الثانية (بعد ان ذكر الاخلاص) التي لا بد أن يتصف بها العالم المسلم التقي الورع، وهذا ناتج عن الأمر الأول، فالمسلم إذا لم يكن مخلصاً فلن يستطيع أن يحقق هذه الصفة ألا وهي: الزهد في الدنيا، تريد أن تكون عالماً ربانياً؟ تريد أن تكون عالماً تقياً ورعاً؟ تريد أن تكون عالماً مثاباً من رب العالمين سبحانه وتعالى؟ لا تطلب الدنيا بعلمك، وهذه معضلة، تكلمنا في الدروس السابقة عن علوم الحياة، وذكرنا أن هذه العلوم تورث في الأمة قوة، وتحسن الاقتصاد، وتقيم المصانع والشركات، وتكثر من الإنتاج، فتكثر الأموال، فقد يفتن الإنسان في هذه الدنيا، والرسول عليه الصلاة والسلام كان يقول: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم).

وقد كان شيخنا مجد الأمين الشنقيطي المتوفى في ١٧/١٢/١٣٩٣ هـ رحمه الله تعالى متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله:

"لقد جئت من البلاد - شنقيط - ومعني كنز قل أن يوجد عند أحد، وهو (القناعة) ، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أؤثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية" فرحمه الله تعالى رحمه واسعة أمين.. هذا الكلام من الشيخ الشنقيطي وأشباهه من أهل العلم لا يريدون بذلك تركية النفس إنما يريدون بذلك نفع الخلق وأن يقتدي الناس بهم وأن يكونوا على هذا الطريق

التحلي برونق العلم:

التحلي بـ (رونق العلم) حسن السمات، والهدى الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها.

وعن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال:

"كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم".

وعن رجاء بن حيوة رحمه الله تعالى أنه قال لرجل:

"حدثنا، ولا تحدثنا عن ممتاوت ولا طعان".

رواهما الخطيب في "الجامع"، وقال (١) :

"يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس، بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسره ونادره وطريقة، والذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصلة وفاحشة وسخيفه وما أوجر منه الصدور وجلب الشر، فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة" اهـ.

وقد قيل: (مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ) فَتَجَنَّبْ هَاتِيكَ السَّقَطَاتِ فِي مُجَالَسَتِكَ وَمُحَادَثَتِكَ. وَبَعْضُ مَنْ يَجْهَلُ يَظُنُّ أَنَّ التَّبَسُّطَ فِي هَذَا أَرِيحِيَّةٌ. وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: (جَنَّبُوا مَجَالَسَنَا ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ، إِنِّي أَنْغَضُ الرَّجُلَ يَكُونُ وَصَافًا لِفَرْجِهِ وَيَظُنُّهُ) وَفِي كِتَابِ الْمَحَدِّثِ الْمَلْهُمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقَضَاءِ: (وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، شَانَهُ اللَّهُ). وَأَنْظُرْ شَرْحَهُ لَابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

منطلقات طالب العلم (ص: ٢٦٧)

الآداب وحسن السميت مطلب شرعي قلَّ في الناس الآن من يلتفت إليه، بل البلايا العظام لم تتوال علينا إلا يوم هجر الناس السميت الحسن، وأقبلوا على العلم ولم يزينوه بحليته الواجبة، فظهرت الأقوال الشاذة، وكثرت الصراعات والخلافات، فلم نجد للعلم ثمرة، ونذر في الناس أهل العلم والفضل.

وقال ابن المبارك . رحمه الله : طلبت العلم فأصبت منه شيئاً، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا.

وهذا في زمانه . رحمه الله . زمان " خير القرون " ، فكيف به إذا رأى زماننا هذا؟

ولما تغافل الناس عن الاهتمام بالآداب الشرعية ظهر الالتزام الهش، وصار الإقبال على المفضل، وترك الفضل، وظهرت الانحرافات الفكرية والسلوكية والأخلاقية؛ لأنَّ تلك الآداب . في حقيقة الأمر . حصن الالتزام والإيمان الأول فإذا تركت ترك السنن والفرائض ونقضت عرى الإيمان الواحدة تلو الأخرى.

قال الحجاوي: مثل الإيمان كمثّل بلدة لها خمس حصون: الأول من ذهب، والثاني من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لبن.

فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطمع العدو في الثاني، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها.

فكذلك الإيمان في خمس حصون: اليقين، ثمَّ الإخلاص، ثمَّ أداء الفرائض، ثمَّ السنن، ثمَّ حفظ الآداب، فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع ... فيه، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثمَّ في الفرائض، ثمَّ في الإخلاص، ثمَّ في اليقين. (١)

فالأدب دليل على الالتزام الحقيقي، ولذا جُعل جزءاً من أجزاء النبوة.

عن ابن عباس . رضي الله عنه : أنَّ النبي ﷺ : " إنَّ الهدى الصالح والسميت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة. (٢)

وكان الأدب هو المقياس الذي يقاس به الناس عند سلفنا الصالح، فإذا لم يوافق هدي الرجل علمه تركوه ونبذوه، فليس العلم عن كثرة المعارف وشحن الذهن بالفنون واللطائف، وإنما العلم ما توصل به لخشية الله تعالى. قال إبراهيم النخعي . رحمه الله : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله، ثمَّ يأخذون عنه.

قال الإمام النووي: قالوا: ولا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته واشتهرت صيانتة وسيادته. (١)

قال عبد الله بن المبارك: لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه ... بالأدب. (٢)

ولذلك كانت وصية سلفنا الصالح بتعاهد الأدب أكثر مما يتعاهد به العلم.

قال أبو عبد الله البلخي: أدب العلم أكثر من العلم.

والأدب شرط لحصول العلم، يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم، فلا علم لمن لا أدب له.

قيل: العون لمن لا عون له الأدب.

وقال الأحنف بن قيس: الأدب نور العقل كما أنَّ النار نور البصر.

ومن ثمَّ فإنك لا تتعجب أن يفرد أهل العلم مصنفات مستقلة في بيان الآداب الشرعية، " مثل: الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة لابن جرير الطبري ... (ت ٣١١هـ)، " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، ... و" الآداب الشرعية والمصالح المرعية " لابن مفلح الحنبلي (ت ٧٦٣هـ) وغيرها من الكتب النافعة الماتعة وفي كتاب المحدث الملهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء: (وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، شَانَهُ اللَّهُ)

إذا تزين الإنسان بأنه طالب علم، وقام يضرب الجبلين بعضهما ببعض، وكلما أتته مسألة من مسائل العلم شمر عن أكماله وقال أنا صاحبها، هذا حلال وهذا حرام وهذا واجب وهذا فرض كفاية وهذا فرض عين وهذا يشترط فيه كذا وكذا وهذا ليس له شروط وقام يفصل ويكمل، ولكن يأتيه طالب علم صغير، ويقول أخبرني عن كذا، فإذا بالله يفضحه ويبين أنه ليس بعالم.

وكذلك من تزين بعبادة وأظهر للناس أنه عابد، فلا بد أن يكشفه الله عز وجل لا بد أن ينكشف، أعاذنا الله وإياكم من الرياء. تحل بالمروءة (٣):

التحلي بـ (المروءة) ، وما يحمل إليها، من مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس، والأئمة من غير كبرياء، والعزة في غير جبروت، والشهامة في غير عصبية، والحمية في غير جاهلية. وعليه فتنبك (خوارم المروءة) ، في طبع، أو قول، أو عمل، من حرفة مهينة، أو خلة رديئة، كالعجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الرب.

سئل محمد بن علي عن المروءة فقال: أن لا تعمل في السر عملا تستحي منه في العلانية

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٣١)

يقول التحلي بالمروءة ، فما هي المروءة؟

حدها الفقهاء رحمهم الله، في كتاب الشهادات، قالوا: هي فعل ما يجمله ويزينه، واجتناب ما يندسه ويشينه.

وهذه عبارة عامة، كل شي يجملك عند الناس ويزينك ويكون سببا للثناء عليك، فهو مروءة، وإن لم يكن من العبادات ، وكل شيء بالعكس فهو خلاف المروءة. ثم ضرب لهذا مثلا ، فقال:

من مكارم الأخلاق، فما هو كرم الخلق؟ أن يكون الإنسان دائما متسامحا أو أن يتسامح في موضع التسامح، ويأخذ بالعزم في موضع العزيمة. ولهذا جاء الدين الإسلامي وسطاً بين التسامح الذي تضيق به الحقوق، وبين العزيمة التي ربما تحمل على الجور مكارم الأخلاق هي أن يتخلق الإنسان بالأخلاق الفاضلة الجامعة بين العدل والإحسان، فيأخذ بالحزم في موضع الحزم ، وباللين واليسر في موضع اللين واليسر.

طلاقة الوجه، أيضا طلاقة الوجه هذه من مكارم الأخلاق، وهل مثلا أطلق وجهي لكل إنسان حتى لو كان من أجرم المجرمين أو على حسب الحال؟ على حسب الحال، أطلق الوجه في ستة من تسعة: ما معناها؟ يعني في الثلثين والثلث دعه لما تقتضيه الحاجة. ليكن سيمتك طلاقة الوجه ، هذا أحسن شيء ، تجذب الناس إلى نفسك ، ويحبك الناس، ويستطيعون أن يفضوا إليك ما يخفونه من أسرارهم. لكن إذا كنت عبوسا، تعض على شفتك السفلى، فإن الناس يهابوك ولا يستطيعون أن يتكلموا معك. لكن إذا اقتضت الحال أن لا تطلق الوجه ، فافعل. ولهذا لا يلام الإنسان على العبوسة لوماً مطلقا ، ولا يمدح على تركها مدحا مطلقا. إفشاء السلام: يعني نشره وإظهاره على كل أحد؟ لا ليس على كل أحد، على من يستحق أن يسلم عليه ، على المسلم وإن كان عاصيا ، وإن كان زانيا وإن كان سارقا وإن كان مرابيا وإن كان يشرب الخمر

، لأنه مسلم ألقى إليه السلام. لقول النبي ﷺ: (لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن -أو قال أخاه- فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) .

فإن فعل المؤمن منكراً، ولا سيما إذا كان منكراً عظيماً يخشى منه أن يتفتت المجتمع الإسلامي ، فحينئذ يكون هجره واجبا هجره إن نفع الهجر، وإنما أقول ذلك لئلا يرد علينا قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك ، فإن الرسول ﷺ أمر بهجره ، أمر أن يهجره الناس فهجروه وصاروا لا يتكلمون معه أما غير المسلمين فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام)

فيحرم علينا أن نبدأ اليهود والنصارى ومن سواهم أخبث منهم فلا نبدأه بالسلام، إن سلموا نرد عليهم ، لقول الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) . فإذا قالوا: السلام عليكم ، نقول: عليكم السلام صراحة، لأن الآية ناطقة بذلك (حيوا بأحسن منها أو ردوها) . ولأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما أمر أن نقول: وعليكم ، لأنهم يقولون السام عليكم ، كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث عبد الله بن عمر قال إن اليهود أو قال أهل الكتاب يقولون السام عليكم فإذا سلموا فقولوا وعليكم.

وعليه فتَنَكَّبُ (خَوَارِمُ الْمُرُوءَةِ) فِي طَبْعِ أَوْ قَوْلِ أَوْ عَمَلٍ مِنْ حَرْفَةِ مَهِينَةٍ أَوْ خَلَّةٍ زِدِيَّةٍ كَالْعُجْبِ وَالرِّبَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَاحْتِقَارِ الْآخَرِينَ وَغَشْيَانِ مَوَاطِنِ الرِّيبِ.

تَنَكَّبُ، يعني ابعد عن خوارم المروءة في طبع أو قول أو عمل: يعني في طباعك حاول أن تكون طباعك ملائمة للمروءة كالعجب، أن يعجب الإنسان بنفسه، فإذا استنبط فائدة قال: هذه الفائدة ما شاء الله أنا استنبطتها هذه ما يستنبطها أكبر عالم، ثم أعجب بنفسه ، ورأى نفسه كبيراً وانتفخ.

الرياء أن يرائي الناس بأن يتكلم في العلوم أمامهم حتى يروا أنه عالم فيقال: هذا عالم.

البطر: رد الحق، وهذه تحصل في المجادلات والتعصب لرأي من الآراء، أو لمذهب من المذاهب، تجده يغط الآخريين يرد الحق لأنه خلاف ما يرى.

الخيلاء نتيجة العجب، يعني يُظهر نفسه بمظهر العالم الواسع العلم، ومن ذلك أن يكون للعلماء في بلد ما زِيٌّ خاص في اللباس، فيأتي هذا الإنسان البادئ بالعلم فيلبس لباس كبار العلماء ليظن الظان أنه من كبار العلماء ، فهذا من الخيلاء.

وِغَشْيَانِ مَوَاطِنِ الرِّيبِ: يعني المواطن التي تكون محل الشك فيه وفي مروءته وأخلاقه يتجنبها (رحم الله امرأة كُف الغيبة عن نفسه) وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أظهر الخلق ، قال للرجلين الأنصاريين وهو مع زوجته صفية رضي الله عنها ، قال: إنها صفية. فكيف بغيره.

فالحاصل أنك لا تثق بنفسك وتقول إن الناس لن يظنوا بي شيئاً، فأنت وإن كنت عند الناس بهذه المثابة، لكن الشيطان يلقي في قلوبهم الشر، حتى يتهموك بما أنت منه بريء، فتجنب مواطن الريب حتى تسلم من الريبة.

الأئفة من غير كبرياء: يعني أن يأنف الإنسان من الأشياء المهينة التي توجب ضعته عند الناس لكن بدون كبرياء.

العزة في غير الجبروت: أن يكون عزيز النفس قويا لكن من غير جبروت، بمعنى أن لا يذل أمام خصمه، عند المناظرة أو غير المناظرة ، بل يتصور أنه غالب ، لكن بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى الجبروت، فإنه إذا أدى إلى الجبروت صار خلقاً ذميمة. عكس ذلك من يكون ذليلاً حتى وإن كان عنده علم لا يستطيع أن يناظر ولا أن يجادل، ولا أن يتكلم مع الغير فتجده يُهزم حتى في مواطن الحق التي أصاب فيها.

الشهامة في غير عصبية: واضحة أن يكون الإنسان شهما معتزا بنفسه لكن من غير عصبية، لا يقول أنا من القبيلة الفلانية ولي شهامة ، أنا من تميم، أنا من قريش، أنا من كذا، أنا من كذا.

والحمية في غير جاهلية: أن يكون عند الإنسان حمية وغيرة ، لكن في الحق لا في الجاهلية.

تَمَنَّعَ بِخِصَالِ الرِّجُولَةِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ فِي الْحَقِّ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّبَذُلِ فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ حَتَّى تَنْقَطِعَ دُونَكَ آمَالُ الرِّجَالِ. وَعَلَيْهِ فَاحْذَرُ نَوَاقِضَهَا: مِنْ ضَعْفِ الْجَاشِ، وَقَلَّةِ الصَّبْرِ وَضَعْفِ الْمَكَارِمِ فَإِنَّهَا تَهْضِمُ الْعِلْمَ وَتَقْطَعُ اللِّسَانَ عَنْ قَوْلَةِ الْحَقِّ، وَتَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى خُصُومِهِ فِي حَالَةٍ تَلْفُحٍ بِسُمُومِهَا فِي وُجُوهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ

تكميل للأول لأن التمتع بخصال الرجولة من المروءة بلا شك، فإن الإنسان إذا نزل نفسه منزلة الرجال الذين هم رجال بمعنى الكلمة فإنه سوف يتمتع بما ذكره: الشجاعة وشدة البأس في الحق، مكارم الأخلاق، البذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال: يعني حتى لا يهم أحد بأن يسبقك بما أنت عليه من هذه الخصال.

هَجَرُ التَّرَفِّ: لَا تَسْتَرْسِلْ فِي (التَّنْعَمِ وَالرَّفَاهِيَةِ) ؛ فَإِنَّ (البَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ) وَخُذْ بِوَصِيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمَشْهُورِ وَفِيهِ: (وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنْعَمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَتَمَعَّدُوا وَاخْشَوْشُوا)

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٣٨)

لا تسترسل في التمتع والرفاهية، وهذه النصيحة تقال لطالب العلم ولغير طالب العلم لأن الاسترسال في ذلك مخالف لإرشاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقد كان ينهى عن كثرة الإرفاه ويأمر بالاحتفاء أحيانا، والإنسان الذي يعتاد الرفاهية يصعب عليه معالجة الأمور، لأنه قد تأتته الأمور على وجه لا يتمكن معه من الرفاهية قوله: " البذاذة من الإيمان " البذاذة: عدم التمتع والترفيه

وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه المشهور، وفيه: وإياكم وزِيَّ العجم.

ومعنى إياكم: أحذركم. أن تكونوا مع التمتع، التمتع باللباس وبالبدن وكل شيء، والمراد بذلك كثرتة. لأن التمتع بما أحل الله على وجه لا إسراف فيه ، من الأمور المحمودة بلا شك. ومن ترك التمتع بما أحل الله من غير سبب شرعي ، فهو مذموم.

وقوله: وزِيَّ العجم، ما هو زِيَّ العجم؟ شكله، سواء كان ذلك في الحلية كشكل الشعر شعر الرأس أو اللحية أو ما أشبه ذلك، أو كان باللباس يعني بالتحلي باللباس. فإننا منهيون عن زِيَّ العجم ، وليس المراد بالعجم أمة إيران بل المراد بالعجم كل ما سوى العرب فيدخل فيه الأوروبيون والشرقيون في آسيا وغيرها، كل من سوى العرب فهو عجم لكن المسلم من العجم التحق بالعرب حكما لا نسباً، لأنه اقتدى بمن بعث في الأميين رسولا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

تمعددوا: هل معناه كبروا معدتكم؟! لا، معد بن عدنان هذا أعلى أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام بعد عدنان وهو ولا شك من صميم العرب فكأنه يقول: اتركوا زِيَّ العجم وعليكم بزِيَّ العرب (معد بن عدنان) .

وأما اخشوشنوا: فهو من الخشونة التي هي ضد الليونة والتمتع.